

تفسير ابن كثير

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ^ق وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا
وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ^ج وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ

وقوله : (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا) أي : لا يموت أحد إلا
بقدر الله ، وحتى يستوفي المدة التي ضربها الله له ، ولهذا قال : (كتابا مؤجلا) كقوله
(وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب) [فاطر : 11] وكقوله (هو
الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده) [الأنعام : 2] . وهذه الآية
فيها تشجيع للجناء وترغيب لهم في القتال ، فإن الإقدام والإحجام لا ينقص من العمر
ولا يزيد فيه كما قال ابن أبي حاتم : حدثنا العباس بن يزيد العبدى قال : سمعت أبا
معاوية ، عن الأعمش ، عن حبيب بن صهبان ، قال : قال رجل من المسلمين - وهو
حجر بن عدي - : ما يمنعكم أن تعبروا إلى هؤلاء العدو ، هذه النطفة ؟ - يعني دجلة -)
وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا) ثم أقحم فرسه دجلة فلما أقحم
أقحم الناس فلما رأهم العدو قالوا : دبوان ، فهربوا . وقوله : (ومن يرد ثواب الدنيا نُؤْتِهِ مِنْهَا

ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) أي : من كان عمله للدنيا فقد نال منها ما قدره الله له ، ولم يكن له في الآخرة [من] نصيب ، ومن قصد بعمله الدار الآخرة أعطاه الله منها مع ما قسم له في الدنيا كما قال : (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب) [الشورى : 20] وقال تعالى : (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) [الإسراء : 18 ، 19] وهكذا قال هاهنا : (وسنجزى الشاكرين) أي : سنعطيه من فضلنا ورحمتنا في الدنيا والآخرة بحسب شكرهم وعملهم .